محمود باشا الفلكي

محمود أحمد الملقب بمحمود حمدي الفلكي ثم محمود الفلكي، أنبغ علماء الفلك والرياضيات الوطنيين الذين انجبتهم مصر الحديثة وذاع صيتهم على المستوي العالمي في القرن التاسع عشر الميلادي من خلال اعماله العظيمة حيث كان أول عالم عصري خطط معالم الإسكندرية القديمة ونقب عن حفائرها و كشف عن آثارها وموقع

سورها القديم وخالف علماء الحملة الفرنسية في بعض آرائهم، كما قام بإنشاء مدفع الظهر بالقلعة وغيرها من الأعمال الجليلة.

ولد ببلدة الحصة بمديرية الغربية عام **1815**م من أبوين فلاحين بأسرة بسيطة من صميم الشعب، نشأ في قريته وتلقي مبادئ القراءة والكتابة وعلوم الدين في كُتابها حتى بلغ التاسعة من عمره فالحقه شقيقه الأكبر الذي عنى بتربيته بمدرسة ابتدائية بالإسكندرية ثم بمدرسة الترسخانة (مدرسة البحرية) والتي انشئت في عهد محمد علي باشا وكان يديرها مهندس فرنسي خبير في بناء السفن وتخرج منها عام **1833**م برتبة البلوك أمين وكان اخوه قد تخرج من نفس المدرسة وعين ضابطاً بالأسطول.

لم يتوقف طموح الفلكي بعد تخرجه بل انتقل إلى القاهرة عام **1834**م وبسبب ميوله إلى الرياضيات والهندسة والفلك التحق بمدرسة المهندسخانة (الهندسة) واجتهد و ثابر فكان أول دفعته التي تخرجت عام **1839**م، ومنح رتبه الاسبران (الملازم) وعين مدرساً للرياضيات بالمهندسخانة.

حصل على رتبة اليوزباشي عام **1842**م، وكان الفلكي شغوفاً نحو علم الفلك فاخذ يدرس الطلاب هذا العلم الذي ادخل عندئذ في المهندسخانة لأول مرة، مستعينا بالمراجع الفرنسية التي وضعها كبار علماء الفلك بفرنسا وساعده في ذلك إتقانه للغة الفرنسية، كما تولى إدارة المرصد الفلكي الذي أُنشئ آنذاك والحق بالمهندسخانه بالإضافة إلى عمل الفلكي الأصلي كمدرس للرياضيات وهي مادته المفضلة وظل الفلكي يقوم بتدريس الرياضيات والفلك ومديراً للمرصد بالمهندساخنة (**1839**م - **1850**م) وتخرج على يديه تلاميذ انتفعت بمواهبهم هذه العلوم مثل علي باشا مبارك الذي اصبح وزيراً للمعارف، وعلي إبراهيم باشا الذي عين وزيراً للمعارف وحماد عبد

العاطي باشا الذي عمل مستشاراً لمحكمة الاستئناف في أواخر حياته رغم عدم دراسته للحقوق وإسماعيل باشا الفلكي الذي تولى نظارة المهندسخانة وغيرهم.

وأُبتعث الفلكي إلى فرنسا في 8 أكتوبر سنة 1266هـ/ 1850م ضمن البعثة التي أرسلت لتعلم الفلك في مدينة باريس وكان عدد أعضاؤها ثلاثة أعضاء فبالإضافة إليه كان معه إسماعيل مصطفى الفلكي وحسين إبراهيم وكانا قد أتما دراستهما بمدرسة المهندسخانة وعهد إلى محمود الفلكي رئاسة البعثة حيث كان وقتها مدرساً بالمهندسخانة وكان برتبه الصاغ وعمره 35 سنة.

اتخذ المرصد الفلكي بباريس مقراً له وزار المراصد والجامعات الكبيرة في المانيا وبلجيكا وبريطانيا وغيرها وتجول بين العواصم والمدن الأوروبية وأتم بحوث فلكية نشرتها له المجلات العلمية الاوروبية والتي لفتت اليه انظار العلماء الاوروبيين ومكث بفرنسا تسعة أعوام.

وبعد أن نال أعظم الشهادات العالمية في أوروبا عاد إلى مصر في 18 اغسطس سنة 1859م وكان ذلك في عهد سعيد باشا الذي منحه رتبة الاميرالاي ورتبة البكوية وكان قد بلغ الرابعة والاربعين من عمره عند عودته.

كما كلفه سعيد باشا برسم خريطة مفصلة للقطر المصري فوضع خريطة للوجه البحري فكانت خريطة غاية في الدقة والصحة طبعتها الحكومة على نفقتها ووضع خريطة أخرى للوجه القبلي وأخرى عن عروس البحر الابيض المتوسط مدينة الإسكندرية.

وفي عام 1860م عهد إليه بالرحلة إلى مديرية دنقلة بالسودان لملاحظة كسوف الشمس الكلي في 18 يوليو من نفس السنة وكانت مدة الكسوف لا تزيد عادة على دقيقة واحدة فانتشرت بعثات الرصد في أماكن عديدة ، وسافر عن طريق النيل وأدى المهمة على أكمل وجه فعين زمن ابتداء الكسوف الجزئي وزمن ابتداء الكسوف الكلي وانتهائه، كما وضع رسالة عن هذا الكسوف قدمها إلى سعيد باشا وإلى أكاديمية العلوم بباريس فنالت استحسان العلماء واثنوا عليه وخلال إقامته في السودان حقق المواقع الفلكية على النيل.

وفي عهد الخديوي إسماعيل باشا كان الفلكي في طليعة أعضاء القومسيون الذي شكله علي باشا مبارك لرؤية مادة تنظيم الكتاتيب الأهلية وتحويلها إلى مدارس ابتدائية فيما عرف بلائحة 10 رجب 1284هـ/ 1868م التي هدفت إلى إصلاح التعليم وتشكل القومسيون بالإضافة اليه رفاعة بك رافع الطهطاوي ناظر قلم الترجمة في ذاك الحين وعبد الله بك السيد عضو مجلس استئناف القاهرة والشيخ العلامة عبد الهادي نجا الإبياري وإسماعيل بك الفلكي والشيخ إسماعيل الحلبي مفتي الأوقاف وغيرهم .

كما عمل ناظراً لمدرسة المهندسخانة من يونيه سنة 1871م وحتى أغسطس من نفس السنة وتولى نظارة الرصدخانه ،كما مثل الحكومة المصرية في المؤتمر الجغرافي الدولي بباريس عام 1875م، وعين وكيلاً للجمعية الجغرافية الخديوية منذ أن أنشائها الخديوي إسماعيل باشا في عام 1875م بالقاهرة وكان إسماعيل باشا قد عين العالم الالماني جورج شفينفورت رئيساً لها وأصدر أمراً بمنح الجمعية إعانة سنوية قدرها 400 جنية واهدي إليها 2500 مجلد لمكتبتها بعد أن انزلها بقصر من قصوره، وكان الغرض منها دراسة العلوم الجغرافية والاهتمام بالأبحاث العلمية بالإضافة إلى

استكشاف الأراضي الافريقية المجهولة مما يتيح فرص توسع التجارة المصرية وقد تولي الفلكي رئاسة الجمعية في أواخر حياته وبقي يتولاها حتى وفاته.

وفي عهد الخديوي توفيق باشا انتخب عضوا بالمعهد العلمي المصري ثم وكيلاً له عام 1880م، ومثل الحكومة المصرية في المؤتمر الجغرافي الدولي في فنيسيا عام 1881م وهو العام الذي مُنح فيه رتبة الباشوية وتولى وزارة الأشغال العمومية في وزارة إسماعيل راغب باشا في 18 يونية 1882م وحتى 21 اغسطس 1883م.

وهي الوزارة التي كان يشغل بها الزعيم أحمد عرابي وزارة الحربية ثم عزل على إثر فرمان من السلطان العثماني فيما يعرف بعصيان عرابي في 9 سبتمبر 1882م، وأصدر الخديوي توفيق أمراً في 16 ذي القعدة 1299هـ/ 19سبتمبر1882م بتشكيل قومسيون مخصوص بطنطا تحت رئاسة محمود باشا الفلكي وقوامه أربعة أعضاء منهم رجل القانون شفيق بك منصور يكن، لفحص وتحقيق ما وصفه الأمر الصادر من الخديوي بحوادث السرقات والقتل والهتك والنهب والحريق التي وقعت في كافة انحاء القطر مصر عدا الاسكندرية أثناء العصيان العسكري وعلى القمسيون أن يحرر تقريراً عن كل قضية يجري فيها تحقيقاً وأن يقيم الدعوى على كل شخص تظهر له جناية.

كما عين وكيلاً لوزارة المعارف في وزارة شريف باشا من 8 نوفمبر 1882م وحتى يناير 1884م، ثم اختير الفلكي ناظراً للمعارف العمومية في وزارة نوبار باشا الثانية في 10 يناير 1884م وحتى 19 يوليو سنة 1885م وهو يوم وفاته حيث توفي فجأة.

ولعل من أبرز ما الفه الفلكي و خدم به الدين الإسلامي الحنيف بعد ما حصله من علم غزير أن وضع رساله عن التقاويم العربية قبل الاسلام وهي رسالة فلكية تعد الأولى من نوعها في تحقيق تاريخ ميلاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكذا موعد الهجرة النبوية، مستندا بالطرق الفلكية إلى تحديد تاريخ موت إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم بكسوف الشمس وقد حدد يوم كسوف الشمس باليوم والساعة ، كما أرفق برسالته دراسة مستفيضة في التقويم العربي قبل الإسلام ونشرت هذه البحوث الفلكية الثلاثة في سنة **1858**م باللغة الفرنسية في المجلة الاسيوية التي كانت تصدرها أكاديمية العلوم البلجيكية ثم عربها أحمد زكي باشا بعنوان (نتائج الافهام في تقويم العرب قبل الإسلام) ومن مؤلفاته أيضا:

1- كتاب حساب التفاضل والتكامل ، طبع قبل سفره إلى اوروبا .

2- تقويم عربي طبع بمطبعة بولاق ، طبع قبل سفره إلى اوروبا.

3- رسالة في التقاويم الإسرائيلية طبعها في بروكسل عام **1855**م أثناء تواجده بفرنسا وقدمها للمجمع العلمي في بلجيكا .

4- رسالة في الحالة الحاضرة للمواد المغناطسية بباريس وضواحيها، تلاها على المجمع العلمي الفرنسي سنة **1856**م.

5-رسالة في مشابة (كان) الناقصة للفعل الفرنسي المساعد ، نشرها في المجلة الاسيوية سنة **1859**م.

6- رسالة في الكسوف الكلي للشمس الذي ظهر في دنقلة في **18** يوليه سنة **1860**م.

7- رسالة في أعمار الأهرام الفها سنة 1865م.

8- رسالة في التنبؤ عن مقدار فيضان النيل قبل فيضانه.

9- رسالة في بيان المزايا التي تترتب على إنشاء مرصد فلكي للحوادث الجوية في الديار المصرية.

10- رسالة هامة في وصف مدينة الإسكندرية وضواحيها.

11- رسالة في مقاييس مصر ومكاييلها وموازينها ومقابلة ذلك في الأقيسة الفرنسية، الفها سنة 1873م و ترجمت باللغة العربية وطبعت بالاستانة.

12- رسالة في موازين النقود المصرية، لم يتم تاليفها.

ويروى أحمد سعيد الدمرداش في كتابه عن الفلكي أنه في يوم 18 يوليو 1885م توجه محمود الفلكي وزير المعارف إلى الجبانة وحث العمال على سرعة الانتهاء من استكمال القبر الذي كان قد رسمه لنفسه وبعد أن تأكد ما أنه أصبح جاهزاً عاد إلى مكتبه.

وفي اليوم التالي الموافق 19 يوليو 1885م توفي الفلكي فجأة وهو صحيحاً معافا في عهد الخديوي توفيق باشا بعد أن كان معاصراً ومشاركاً في بناء دولة مصر الحديثة في عهود كل من محمد علي وعباس الأول وسعيد وإسماعيل وتوفيق.

رحل بعد أن رفع راية البلاد في البحوث العلمية ومحافل العلم في بلجيكا وفرنسا وإنجلترا والمانيا و النمسا ، فكان خير من أنجبتهم مصر في القرن التاسع عشر الميلادي وقد قامت الجمعية الجغرافية الخديوية بتأبينه في اجتماعها يوم 8 يناير سنة 1886م

والقى إسماعيل باشا الفلكي والاميرالاي محمد مختار محاضرة عن حياة وإنجازات الفقيد رحمه الله.

فكر قبل وفاته في إعداد قاعة عامة في بيته تخصص لمن يرغب في مطالعة ما يملكه من الكتب والمخطوطات والخرائط النفيسة ولم يسعفه الوقت وقد تحققت فكرته بعد وفاته حيث اهدت كريمته مكتبته الحافلة بالكتب والمخطوطات النفسية في مختلف العلوم إلى دار الكتب المصرية عام 1929م وكانت تضم 600 مجلد.

***